

10 من قوله: (وَيَسْتَبِّشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يُلْحِقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ.)

وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ○ فَرَجِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِّشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يُلْحِقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ ○ يَسْتَبِّشُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ○ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْفَرَّخُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَانْفَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ○ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ○ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ○ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُحَوِّفُ أُولَئِيَّةَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الشَّهَادَاءِ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ، إِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ.

قال محمد بن جرير: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا عمر بن يونس عن عكرمة، حدثنا ابن إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم النبي الله ﷺ إلى أهل بئر معونة، قال: لا أدرى أربعين أو سبعين، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيلي الجعفري، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء فقعدها فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنباري:- أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فخرج حتى أتى حياً منهم فاختبأ أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله إليكم، إنيأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فامنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح، فضربه في جنبه حتى خرج من السق الآخر، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلتهم أجمعين عامر بن الطفيلي، قال: وقال إسحاق: حدثني أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآننا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضي عنا، ثم نسخت فرفعت بعدهما قرآنها زماناً، وأنزل الله تعالى: وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.

وقد قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتتهن شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتتهن ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ فعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة، تركوا.

الشيخ: وهذا من لطف الله جل وعلا، ومن إظهاره فضل الشهداء، وقد عوضوا عن أجسامهم أجسام طيور خضر تحمل أرواحهم تسرح بهم في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأظهر الله هذا ليشتق المؤمنون إلى الشهادة في سبيل الله وليرغفوا فضل الشهادة وما لها من العاقبة الحميّة وهذا مكان الشهداء، أما المؤمنون فإن نفس أرواحهم تكون طيراً في الجنة تسرح حيث شاءت في الجنة، نفس الروح تكون طيراً تسرح في الجنة حتى ترد إلى جسدها كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره من طريق الشافعى عن مالك عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن أرواح المؤمنين طائر يعلق في شجر الجنة حتى يردها الله إلى جسدها، وهذا أيضاً من نعيم الله المعجل لأرواح المؤمنين.

وثبت أيضاً عنه ﷺ أنه قال: ما من ميت يموت له عند الله خير، يتمنى يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إليها فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة والنبي ﷺ قال أنه يحب أن يقتل في سبيل الله ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيى ثم يقتل في سبيل الله.

وقد روی نحوه من حديث أنس وأبي سعيد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ، قال ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة تفرد به مسلم من طريق حماد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله المديني، حدثنا سفيان عن محمد بن علي بن ربيعة السلمي، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: قال لي رسول الله ﷺ أعلمت أن الله أحيا أباك، فقال له: تمن على. فقال له: أرد إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى. قال: إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون . تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن أبا جابر وهو عبدالله بن عمرو بن حرام الانصاري ؓ، قتل يوم أحد شهيداً. قال البخاري: وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنذر: سمعت جابرًا قال لما قتل أبي: جعلت أبي وأكشف التوب عن وجهه، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم ينه، وقال النبي ﷺ لا تبكيه - أو ما تبكيه- ما زالت الملائكة تظلها بأجنحتها حتى رفع. وقد أنسدَهُ هو وسلم والنسيئ من طريق آخر عن شعبة، عن محمد بن المنذر، عن جابر، قال: لما قُتِلَ أبا يَوْمَ أَحَدٍ، جعلت أكشف التوب عن وجهه وأبكيه، وذكر تمامه بنحوه.

.....

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لما أصيَبَ إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيباً مأكلهم ومشربهم، وحسن منقبتهم

قالوا: يا لبيت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكروا عن الحرب، فقال الله: ﴿أَنَا أَبْلِغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ وَمَا بَعْدُهَا هُكْذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَاشَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقِ بْنِهِ﴾.

ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وهذا ثابت. وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي إسحاق الفزارى، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ولا تحسنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ثم قال: صحيح على شرط الشيفيين، ولم يخرجاه، وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك: إنها نزلت في قتلى أحد.

الشيخ: لا منافاة فإنها عامة، تعم قتلى أحد، وتعم قتلى بئر معونة، وتعم قتلى ما وقع في الأحزاب، وفي فتح مكة، تعم قتلى المسلمين الشهداء، تعمهم الآية حتى إلى زماننا وبعد زماننا.

حديث آخر: قال أبو بكر بن مردويه، حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا هارون بن سليمان، أئبنا علي بن عبدالله المديني، أئبنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصاري، سمعت طحة بن خراش بن عبدالرحمن بن خراش بن الصمة الانصاري، قال: سمعت جابر بن عبدالله قال: نظر إلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال يا جابر مالي أراك مهتما؟ قال قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك دينا وعيالا، قال: فقال: ألا أخبرك ما كلام الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلام أباك كفاحا، قال علي: الكفاح المواجهة قال: سلني أعطيك. قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فاقتلي فيك ثانية، قال الرب : ﴿إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي الْقَوْلُ: أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ﴾. قال: أي رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية . ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليمان الانصاري، عن أبيه عن جابر، به نحوه. وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق علي بن المديني به.

وقد رواه البيهقي أيضا من حديث أبي عبادة الانصاري وهو عيسى بن عبد الرحمن إن شاء الله عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ لجابر يا جابر ألا أبشرك قال: بلى، بشرك الله بالخير، قال: شعرت أن الله أحيا أباك، فقال: فمن على عبدي ما شئت أعطكه، قال: يا رب ما عبديك حق عبادتك، أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثنا الحارث بن فضيل الانصاري عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله

الله : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا تفرد به أحمد.

الشيخ: هذا فيه نظر؛ لأن الحديث الصحيح :أرواح الشهداء تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديل من الذهب معلقة في العرش تأوي إليها فهذا بارق نهر فيه نظر، التقريب حاضر؟

الطالب: نعم

الشيخ: شف الحارث بن فضيل. وفيه ابن إسحاق له أوهام وإن صرخ بالسماع فليس بذلك الحافظ.

الطالب: الحارث بن فضيل الأنصاري الخطمي أبو عبدالله المدنى ثقة من السادسة: مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

الشيخ: طيب، يبقى ابن إسحاق قال: حدثني قد يكون قوله حدثني هي المحفوظة أو أنه لم يحفظ الرواية كما ينبغي أو يقال هذا البارق ما ينافي بارق نهر يعني يجلسون فيه ويجتمعون فيه للتحدث والأنس ولا يمنع مندخولهم الجنة لكونهم يسرحون فيها حيث شاءوا، إن صح لا يمنع دخولهم في الجنة يسرحون فيها يتمتعون بها ثم يرجعون إلى هذا النهر للتحدث فيما بينهم وجلوسهم ما شاء الله، ثم يرجعون إلى قناديل معلقة تحت العرش في وقت آخر إن صح.

وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان وعيادة عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناد حيد.

وكان الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهي سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هناك، ويغدو عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم.الشيخ: والأقرب أن هذا لا يكون سكناً لهم دائمًا، يكون مقراً للتجمع والمذاكرة والتحدث، ولكنهم لا يمنعون من أن يدخلوا الجنة ويفاكروا ما شاءوا ويتمتعوا بما شاءوا، وكذلك كونهم يرجعون إلى قناديل، لا يمنع ذلك لأن الأحاديث التي فيها أنهم في قناديل أصح من روایة ابن إسحاق، رواها مسلم وغيره وهي أصح من روایة ابن إسحاق وفي روایة ابن إسحاق إما أنهم قسم كما قال المؤلف قسم هم الشهداء، وهذا بعيد فال واضح الشهداء فالأقرب أنه لا ينافي ذلك لهم اجتماع على بارق نهر هذا ولهم دخول إلى الجنة ويسرحون فيها ومرجعهم ومقرهم عند وقت آخر القناديل يتمتعون بها وهذا، وقد يكون هذا من أكمل النعيم تارة على بارق نهر يجتمعون وتارة يسرحون في الجنة وتارة في القناديل يكون هذا أكثر لتمتعهم بأنواع النعيم.

وقد رويانا في مسند الإمام أحمد حديثا فيه البشاره لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضا فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النصرة والسرور، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعه أصحاب المذاهب المتبعه، فإن الإمام أحمد رحمه الله، رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، عن مالك بن أنس الأصحابي رحمه الله، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه ، قال: قال رسول الله ﷺ نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه.

الشيخ: وهذا يعم المؤمنين جميعاً وهذا السندي في غاية الصحة رواه الإمام أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه وهو سندي عزيز غريب صحيح، وفيه أن أرواح المؤمنين تسرح في الجنة تعلق بثمارها حتى يرجعها الله إلى جسدها يوم بعثه. والفرق بين المؤمنين وبين الشهيد أن الشهيد في أجوف طير خضر، أبدلهم الله بأجسادهم أجوف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وأما المؤمنون الآخرون غير الشهداء فنفس أرواحهم طائر تطير بنفسها في الجنة كيف شاءت.

قوله يعلق أي يأكل، وفي هذا الحديث إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حوصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان. وقوله تعالى: فَرِحْيَنَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ إِلَى آخر الآية، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياه عند ربهم، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطه، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم، نسأل الله الجنة.

وقال محمد بن إسحاق: وَيَسْتَبَشِّرُونَ أَي ويسرون بلحقوق من خلفهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركونه فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم.

قال السدي: يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغيرائهم إذا قدم.

وقال سعيد بن جبير: لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء، قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا القتال باشروا بها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبيوا ما أص比نا من الخير، فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم، أي ربهم، أنني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنت فيه، فاستبشرروا بذلك، بذلك

قوله: وَيَسْتَبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحُقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمُ الْآيَة، وقد ثبت في الصحيحين عن أنس عليه السلام قصه أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غادة واحدة، وقتلت رسول الله ﷺ يدعى على الذين قتلوا هم ويلعنهم، قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا

أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا

ثم قال تعالى: يَسْتَبِّشُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ قال محمد بن إسحاق: استبشروا وسرعوا لما عاينوا من وفاء الموعد وجزيل الثواب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم، وقلما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه، إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم.

س: الشهيد الذي يقتل في سبيل الله هل يطلق عليه شهيد فيقال الشهيد فلان؟

الشيخ: للأمر جانبان أحدهما ما يتعلق بالله فهذا الله يعلم الشهداء الله أعلم بهم، أما من جهة الحكم الظاهر فيسمى شهيداً من قتل في سبيل الله ولا يغسل ولا يصلى عليه، فالشهيد له جانبان جانب من جهة الله فهو الذي يعلمه [I]، والجانب من جهة المخلوقين قتل مع الناس في سبيل الله فله حكم الشهداء يقال شهيد لكن في الظاهر، أما الأمور الباطنة فإلى الله [I]، قد يكون شهيداً عندنا ولكن نيته الباطنة ليس بشهيد قد يكون أراد الدنيا، وأراد شيئاً آخر ما أراد وجه الله، فلا يكون له حكم الشهداء في الجنة والأجر الذي يعطى للشهداء. لكن في حكم الدنيا من قتل في سبيل الله فهو شهيد. س....:

الشيخ: جاء فيهم عدة جماعهم الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري ذكر روایات جاء فيهم خمسة في الصحيحين المطعون والمبطون وصاحب الهدم وصاحب الغرق والشهيد في سبيل الله وجاء غيرهم والمرأة تموت في الجمع و جاء الحريق وجاء أنواع نحو سبعة أو ستة تقريراً لكن في بعض أحاديثه ضعف، والمحفوظ نحو سبعة أو ثمانية الخمسة المذكورون، وموت في الولادة، والحريق يموت بالحرق بالنار، وجاء نحو خمسة أو ستة وأحاديث في سنته ضعف ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري على أحاديث الشهداء.

س: هل الشهداء يحاسبون بذنبهم؟

الشيخ: يغفر له كل شيء إلا الدين كما جاء في الحديث الصحيح.

س: حديث جابر بن عبد الله: إن الله لم يكلم أحداً إلا من وراء حجاب، إلا أنه كلام أباك كفاحاً صحته؟

الشيخ: في سنته نظر.

س: يتعارض مع الآية وما كان ليبشر أن يكمله الله إلا وحشاً ... [الشورى: 51]؟

الشيخ: قد يكون خاصاً لو صح.

وقوله تعالى: الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح هذا كان يوم حمراء الأسد، وذلك أن المشركيين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين، كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم تندموا لم لا تتمون على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة،

.....

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْذَهَابِ وَرَاءَهُمْ لِيَرْعَبُوهُمْ وَيَرْيِهِمْ أَنَّ بَهْمَ قُوَّةٍ وَجَلَّا، وَلَمْ يَأْذِنْ لِأَحَدٍ سُوَى مِنْ حَضْرَ الْوَقْعَةِ يَوْمَ أَحَدٍ سُوَى جَابِرَ بْنَ عَبْدَ اللَّهِ، لَمَا سَنَدَكَرَهُ، فَانْتَدَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا بَهْمَ مِنَ الْجَرَاحِ وَالْإِثْخَانِ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتَمَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانَ بْنَ عَيْنَةَ عَنْ عُمَرَ، عَنْ عَكْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أَحَدٍ، قَالُوا: لَا مُحَمَّداً قَتَلَنَا، وَلَا الْكَوَافِرَ أَرْدَفْتُمُ، بَئْسَ مَا صَنَعْتُمْ، ارْجُعوا، فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَنَدَبَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْتَدَبُوكُمْ حَتَّى يَلْغُوا حَمْرَاءَ الْأَسْدِ - أَوْ بَئْرَ أَبِي عَيْنَةِ - الشَّكَّ مِنْ سَفِيَّانَ - فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: نَرَجُعُ مِنْ قَبْلِ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَتْ تَعْدِ غَزَوَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْأَيْمَانَ: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا إِنَّهُمْ وَآتَقُوا أَجْرًا عَظِيمًا وَرَوَاهُ ابْنُ مَرْدُوِيَّهُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُنْصُورٍ عَنْ سَفِيَّانَ بْنَ عَيْنَةَ، عَنْ عُمَرَ، عَنْ عَكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فَذَكَرَهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ يَوْمُ السَّبْتِ لِلنَّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ لَسْتَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضِيَّتْ مِنْ شَوَّالٍ، أَذْنَ مَؤْذِنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ بِطْلَبِ الْعُدُوِّ، وَأَذْنَ مَؤْذِنَهُ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَعْنَا أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَضْرَ يَوْمِنَا بِالْأَمْسِ، فَكَلَمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ حَرَامَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ خَلْفِي عَلَى أَخْوَاتِ لِي سَبْعَ، وَقَالَ: يَا بْنَيَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي وَلَا لَكُمْ أَنْ تَنْتَرِكُ هُؤُلَاءِ النِّسَوَةِ لَا رَجُلَ فِيهِنَّ، وَلَسْتُ بِالذِّي أُوْتِرَكُ بِالْجَهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَفْسِي فَتَخَلَّفُ عَلَى أَخْوَاتِكُمْ، فَتَخَلَّفُ عَلَيْهِنَّ، فَأَذْنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مَعَهُ، وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ رَهْبَةِ الْعُدُوِّ، وَلِيُبَلِّغُهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيُظْنَوْا بِهِ قُوَّةً، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يَوْهُنْهُمْ عَنِ الدُّوَّهِمْ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابَتَ عَنْ أَبِي السَّائِبِ مُولَى عَائِشَةَ بُنْتِ عُثْمَانَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَانَ قَدْ شَهَدَ أَحَدًا، قَالَ: شَهَدَتْ أَحَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَخِي فَرَجَعْنَا جَرِيْحِينَ، فَلَمَّا أَذْنَ مَؤْذِنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعُدُوِّ، قَلَتْ لِأَخِي - أَوْ قَالَ لِي -: أَنْفَقْنَا غَزَوَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا، وَمَا مَا إِلَّا جَرِيْحٌ ثَقِيلٌ فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَنْتُ أَيْسَرَ جَرَاحًا مِنْهُ، فَكَانَ إِذَا غَلَبَ حَمْلُتِهِ عَقْبَةَ وَمَشَى عَقْبَةَ، حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى مَا انتَهَيْنَا إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ. الشِّيخُ: هَذِهِ الصَّدَقَةُ وَالرَّغْبَةُ وَبِمَا عَنْهُ اللَّهُ، جَرِيْحَانَ... كُلُّ وَاحِدٍ يَحْمِلُ الْآخَرَ إِذَا تَعَبَ لِيْسَ مَعَهُمَا مَطْيَةً. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا كُلَّهُ إِرْهَابُ الْعُدُوِّ، الْعُدُوُّ لَمَّا تَحَدَّثَ بِالْعُودَةِ خَشِيَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَرَّةٌ، وَلِهَذَا انتَدَبَ الْمُسْلِمُونَ وَأَمْرُهُمُ بِالْخُرُوجِ لِيُرَى عَدُوُّهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَهْمَ بَقِيَّةٍ وَأَنَّ هَذِهِ الْجَرَاحَ لَمْ تَمْنَعْهُمْ مِنِ الْخُرُوجِ وَالْطَّلَبِ، وَكَانَ هَذَا فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ، وَلِهَذَا جَدَ الْكُفَّارَ فِي ذَهَابِهِمْ إِلَى مَكَّةَ وَخَافُوا أَنْ يَرْجِعُوا فِيْكُونُ عَلَيْهِمْ شَيْءًا مِنَ الْكَوَافِرِ وَهُمْ قَدْ غَنَمُوا وَحَصَلَ لَهُمْ بَعْضُ مَا حَصَلَ وَلِهَذَا فَرَحُوا بِالْعُودَةِ.

.....

وقال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها **الذين استجابوا لله والرسول الآية**، قلت لعروة: يا ابن أخي كأن أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصابه يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، فقال من يرجع في إثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير رضي الله عنهما، هكذا رواه البخاري منفرداً به بهذا السياق.
وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم، عن عباس الدوري،

.....

عن أبي النضر، عن أبي سعيد المؤدب، عن هشام بن عروة به، ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخر جاه، هكذا قال. ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، وهدية بن عبدالوهاب عن سفيان بن عيينة. عن هشام بن عروة به، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان به.

وقد رواه الحاكم أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن البهوي، عن عروة، قال: الله. قالت لي عائشة: يابني إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، ثم قال: صحيح على شرط الشيفين، ولم يخر جاه.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبدالله بن جعفر من أصل كتابه، أئبنا سمويه، أئبنا عبدالله بن الزبير، أئبنا سفيان، أئبنا هشام عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير رضي الله عنهم.

ورفع هذا الحديث خطأً محض من جهة إسناده لمخالفته روایة الثقات من وفقه على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه، ومن جهة معناه، فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير، لأنه ابن اختها أسماء بنت أبي بكر الصديق .

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سعد، حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إن الله قدف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعدما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً، وقد رجع وقدف الله في قلبه الرعب، وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعده، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ واشتد عليهم الذي أصابهم، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين، وقال إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج، ولا يقدرون على مثلاها حتى عام مقبل فجاء الشيطان يخوف أولياءه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال إن ذاذهب وإن لم يتبعني أحد لأحضر الناس فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة

بن الجراح في سبعين رجلاً، فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله تعالى: **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقُرْحُ الْآيَة.**

ثم قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة، وقد مر به - كما حدثني عبدالله بن أبي بكر - معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمة ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ بتهمة صفتهم معه لا يخرون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولو ددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبي سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا أحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ لنكرن على بقيتهم ثم لنفرغ عن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد وأصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثلهم، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى أرى نواصي الخيل. قال: فو الله لقد أجمعنا الكرة عليهم لستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، فو الله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحتني إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردى بأسد كرام لا تتابلة عند اللقاء ولا ميل معاذيل

فظللت أعدوا أظن الأرض مائة لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم إذا تغطمت البطحاء بالخيل

إني نذير لأهل السيل ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش تتابلة وليس يوصف ما أنذرت بالليل

قال: فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه، ومر به ركب منبني عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رساله أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتونا؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتكم فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

الشيخ: وهذا معنى قوله تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** [آل عمران: 173].

وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة، قال: قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوهم والذى نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب. الشيخ: الله جل وعلا يبتلي عباده الأبرار بالأسرار ليرفع شأنهم وليعلى درجاتهم وليعظم أجورهم ويكره سيئاتهم، هكذا يفعل بعباده حتى يعظم أجرهم ويرفع ذكرهم وحتى تكون لهم العاقبة وحتى يتأسى بهم من بعدهم بالصبر على البلاء والمحن، هذه سنته في عباده يمتحن أولياءه بأعدائه ثم تكون العاقبة لأولئك كما جرى يوم أحد، وكما جرى يوم الأحزاب ثم صارت العاقبة للمؤمنين ولم يغز جيش المشركين بعد ذلك بل غزاهم ﷺ بعد ذلك وفتح الله عليه وانتهى أمرهم.

وقال الحسن البصري في قوله **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقُرْحُ** إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب، فمن ينتدب في طلبه؟ فقام النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فاتبعوهم، فبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ يطلبهم، فلقي عيرا من التجار فقال: ردوا محمدا لكم من العمل كذا وكذا، وأخبروه أنني قد جمعت لهم جموعا وأنني راجع إليهم، ف جاء التجار فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال النبي ﷺ: حسبنا الله ونعم الوكيل . فأنزل الله هذه الآية.

وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد: إن هذا السياق نزل في شأن حمراء الأسد، وقيل: نزلت في بدر الموعد، وال الصحيح الأول.

وقوله تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا** الآية، أي الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفهم بكثرة الأداء، مما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعنوا به، **وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**.

وقال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس، قال: أراه قال: حدثنا أبو بكر عن أبي حصين، عن أبي الضحي، عن ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**.

وقد رواه النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله، كلها عن يحيى بن أبي بكيه، عن أبي بكر وهو ابن عياش به، والعجب أن الحكم أبا عبد الله رواه من حديث أحمد بن يونس به، ثم قال: صحيح على شرط الشيفيين، ولم يخرجاه. ثم رواه البخاري عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبي حصين عن أبي الضحي، عن ابن عباس، قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقال عبدالرزاق: قال ابن عبيدة: وأخبرني زكريا عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو، قال: هي

كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، رواه ابن جرير.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري، حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري، أبنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم أحد: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فأنزل الله هذه الآية. وروى أيضاً سنده عن محمد بن عبيد الله الرافعي، عن أبيه، عن جده أبي رافع: أن النبي ﷺ وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية.

ثم قال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا الحسن بن سفيان، أبنا أبو خيثمة مصعب بن سعيد، أبنا موسى بن أعين، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبي العباس، قالا: حدثنا بقية، حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان، عن سيف، عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي ﷺ، قضى بين رجلين، فقال المقطبي عليه لما أذير: حسب الله ونعم الوكيل، فقال النبي ﷺ ردوا على الرجل فقال: ما قلت؟ قال: قلت: حسب الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلوك أمر فقل: حسب الله ونعم الوكيل وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقية عن بحير عن خالد، عن سيف وهو الشامي، ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه.

الشيخ: والمعنى أن الواجب على المؤمن أن يأخذ بالكيس وأن يعمل بالأسباب حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا يتکاسل ولا يضعف، ولهذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في الصحيح يقول ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ثم قال: احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أتي فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فالعبد مأمور بالأسباب فإذا غلبه أمر لا طاقة ولا حيلة له فيه فإنه حينئذ يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، إنما الله وإنما إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، وأما أن يتتساهم ويتعاطى العجز والكسل والضعف ولا يأخذ بالأسباب فلا ينفعه قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل لأن مفترط مضيع فلا يليق به هذا، ولكن يليق هذا بمن أخذ بالأسباب ثم قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، لأن الأمر بيده الله جل وعلا، إنما عليك الأسباب والله سبحانه أمر بالأسباب وتح عليها ورغب فيها وقال في حق المؤمنين: **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** [الأنفال: 60] أي للأعداء ولم يجعلهم يكتفوا بإيمانهم وبقولهم حسبنا الله ونعم الوكيل بل أمرهم بالإعداد، ثم بعد ذلك الله [أ]و توكلنا عليه وعلمنا أنه مسبب الأسباب وأنه مصرف الأمور وأن النصر ليس بالأسباب، يبشر المؤمنين وعون لهم والله مسبب الأسباب [وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا الْصَّرْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] [الأنفال: 10] فإرسال الملائكة وتأييد الله المؤمنين بالملائكة

ونصرهم إياهم [هذا من فضله وجوده وكرمه، وجعل إمداد الملائكة بشرى وليس النصر به] **[وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [الأنفال:10]** ولكن جعلهم أنصاراً وجعلهم مؤيدين، كما أيد المؤمنين ونصر المؤمنين، وكما أعنهم بأنواع السلاح وبإعداد القوى وجعلها بشارة وجعلها عوناً وجعلها هيبة للعدو وكبحاً لشره والنصر من عنده]، فإذا أتي نفع بالأسباب وأعان بها وهزم الأعداء، وإذا أراد [أمرًا آخر لم تتفق الأسباب ولم تجد شيئاً وغلب من شاء الله أنه يغلب، ويغلب من شاء الله أنه يغلب، وغلب من شاء الله أنه يغلب بأمره].

وهكذا في مسائل الدنيا غير الجهاد كالزراعة والحدادة والتجارة، لا يقول هذه الأرض عندي وأنا أجلس ولا أفعل شيئاً، وإذا شاء الله أنها تأتي بحبوب كثيرة فعل، وهذا غلط بل يزرع ويذير ويجري الماء ويلاحظ المزرعة بأسباب نجاحها وفلاحتها، ومع هذا يعتمد على الله ويتوكل عليه مع الأسباب، فالأسباب جزء من التوكل التوكل، والمتوكل الحقيقي هو الذي يفعل الأمرين، يعتمد على الله ويعلم أنه مسبب الأسباب وأن ما شاء الله كان، ومع ذلك يأخذ بالأسباب التي شرعها الله وأباحها لعباده وأمرهم بها كما أنه يجامع أمراته ويطأها، يرجو أن الله ينفع بذلك وأن يأتي ولد، وليس المعنى أنه يتوكل على الله ولا يتزوج ولا يطأ امراته ويأتي الأولاد هذه من الحماقة ونقص في العقول.

.....

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط، حدثنا مطرف عن عطية، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفح؟ فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما نقول؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقد روی هذا من غير وجه، وهو حديث جيد.الشيخ: والمعنى كيف ينعم من يذكر قيام الساعة وأهوالها وغرائبها وشدائدها وما يكون في ذلك اليوم الطويل العظيم من الأهوال، كيف ينعم بهذه الدنيا وكيف يطيب له العيش وهو يتذكر هذه الأمور العظيمة والأهوال، فكيف إذا كان لا يدرى هل ينجو أو ما ينجو؟ هل هو من السعداء أو من الأشقياء؟ إذا كان من وعده الله بالجنة والنجاة من النار يخاف ويقول: كيف أنعم فكيف بحال من لا يدرى؟!

.....

وقد رويانا عن أم المؤمنين عائشة وزينب رضي الله عنهم، أنهما تفاخرتا، فقالت زينب: زوجني الله وزوجكن أهاليكن، وقالت عائشة: نزلت براعتي من السماء في القرآن، فسلمت لها زينب، ثم قالت: كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل؟ فقالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. قالت زينب: قلت كلمة المؤمنين.

ولهذا قال تعالى: **فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ أَيْ لَمَا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ كَفَاهُمْ مَا أَهْمَمُهُمْ وَرَدَ عَنْهُمْ بَأْسٌ مِّنْ أَرَادَ كِيدَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى بَلْدِهِمْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ**

ما أضرم لهم عدوهم، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم.

وقال البيهقي: حدثنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد، حدثنا محمد بن نعيم، حدثنا بشر بن الحكم، حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين، حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: **فَانْقَبُوا إِنْعَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ** وفضل قال: النعمة أنهم سلموا، والفضل أن عيرا مرت في أيام الموسم فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالا فقسه بين أصحابه.

وقال ابن أبي نجح عن مجاهد في قول الله تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ** قال: هذا أبو سفيان، قال لمحمد ﷺ، موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا. فقال محمد ﷺ عسى، فانطلق رسول الله ﷺ لموعده حتى نزل بدر، فوافقوا السوق فيها، فابتاعوا، فذلك قول الله: **فَانْقَبُوا إِنْعَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** الآية، قال: وهي غزوة بدر الصغرى، رواه ابن جرير، وروى أيضا عن القاسم، عن الحسين، عن حجاج.

.....

عن ابن جرير، قال: لما عهد رسول الله ﷺ لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، ي Kiddونهم بذلك، يريدون أن يربوهم، فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى قدموا بدر، فوجدوا أسوقها عافية لم ينافسوا بهم فيها أحد، قال: فقدم رجل من المشركين فأخبر أهل مكة بخيل محمد، وقال في ذلك:

نفرت قلوصي من خيول محمد

وعجوة منثورة كالعنجد

واتخذت ماء قدید موعدی

قال ابن جرير: هكذا أنسدنا القاسم وهو خطأ، وإنما هو:

قد نفرت من رفقي محمد وعجوة من يثرب كالعنجد

قد جعلت ماء قدید موعد

تهزي على دين أبيها الأثلد

وماء ضجنان لها ضحي الغد

ثم قال تعالى: **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** أي يخوفكم أولياءه، ويوجهكم أنهم ذوو بأس وذلة شدة، قال الله تعالى: **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** أي إذا سول لكم وأوهكم فتوكلوا على والجأوا إلي، فإني كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: **أَلِيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدُهُ وَيُخَوِّفُونَكُمْ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ** [الزمر:36] إلى قوله قل حسبي الله عليه يتوكّل المُتَوَكّلون [الزمآن:38] وقال

تعالى : فَقَاتُلُوا أُولِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا [النساء:76] وقال تعالى : أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المجادلة:19] وقال تعالى : كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة:21] وقال : وَلَيَصُرْنَ اللَّهُ مِنْ يَصُرُّهُ [الحج:40] وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ [محمد:7] ، وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ [محمد:7] [إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ○ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَغْلَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ] [غافر:51، 52]

الشيخ: وفي هذا دلالة على أن العباد إذا استقاموا على أمر الله واتبعوا شرعيه وصدقوا في طاعته [يسر أمورهم وكفاحم شر أعدائهم، فالشيطان من شأنه أن يخوف بأوليائه ويعظمهم ويقول سوف يفعلون وسوف يفعلون، حتى يوهم الناس وحتى يثبطهم عن الجهاد وحتى يثبطهم بما يجب عليهم من اتباع الشرع، ولهذا قال سبحانه في حق هؤلاء سواء كان ذلك انصرافه من أحد أو كان في ذهابه إلى بدر الصغرى، وفي كلا الحالتين انقلب المسلمين بنعمة الله وفضله، وقد ثبتم الله وقوى عزائمهم وأعانهم حتى شمروا عن ساعد الجد وتوجهوا لقتال عدوهم نحو حمراء الأسد؛ ليربعوا عدو الله وليخيفوه حتى ينحرزوا إلى مكة، ورجع المسلمين بنعمة وفضل، رجعوا بنعمة آمنين مطمئنين سالمين بعدما أصابهم القرح الذي حصل في غزوة أحد، وإن كان في غزوة بدر الصغرى فهم جاؤوا إلى الموعد ولم يتأخروا ولم ينكروا ولم يضعفوا، ولكن ضعف أعداء الله وتأخروا ولم يأتوا فصار هذا من نعمة الله عليهم والمسلمون حينئذ جاءوا إلى بدر وفيها أسواقها يبتاعوا ويشتروا وحصل لهم بذلك من الخيرات والفضل ما حصل، وحصلت السمعة الحسنة والخبر الذي اشتهر بين الناس بأنهم جاؤوا لقتال عدوهم، وعدوهم تأخر وخف ووجل ولم يف بما وعد، فكان هذا في حق الرسول ﷺ وأصحابه سمعة حسنة وأخبار سارة للمؤمنين وضارة للكافرين.

وأما قوله جل وعلا : إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولِيَاءَهُ [آل عمران:175] فالمعنى أن الشيطان يخوف عباد الله بأولياء الشيطان، يخوف أولياءه يعني يخوفكم أولياءه يعظمهم في صدوركم ويقول لكم إنهم أقوىاء، وإنهم كيت وكيت، حتى يخافهم أهل الإيمان، وحتى ينكروا، وحتى يتأخروا عن الجهاد والمصادمة لعدوهم وال مقابلة لعدوهم بسبب الشيطان وتعظيمه لأوليائه في نفوس المؤمنين حتى يخافوا، والله قال : فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ [آل عمران:175] يعني إياكم ومطاوعة الشيطان في أن تخافوا أعداء الله وأن تسمعوا لداعي الشيطان ووسوسته، بل خافوا الله وراقبوه، وهو مولاكم [وببيده تصريف الأمور، بيده خذلان هؤلاء الكفرة وببيده نصركم عليهم فلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:175] ، ويقول سبحانه : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ [الزمر: 36] وهو سبحانه الكافي لعباده وهو ولهم جل وعلا وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ [الزمر: 36] ، فالكافر يخوفون المسلمين بمن دون الله من الأعداء ويقولون إنهم كيت وكيت، وإنهم عندهم من القوة كذا، ومن الرجال كذا، ليخيفوا المؤمنين ويثبطوهم عن الجهاد والله

المستعان.

.....وَلَا يَحْرُنَّكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ○ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَا نَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ○ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَدْرِي الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ من الطَّيْبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَنْقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ○ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيْطَوْقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ

يقول تعالى لنبيه ﷺ: **وَلَا يَحْرُنَّكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ** وذلك من شدة حرصه على الناس، كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى: **إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ** أي حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة ولهم عذاب عظيم، ثم قال تعالى مخبرا عن ذلك إخبارا مقررا: **إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ** أي استبدلوا هذا بهذا **لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا** أي ولكن يضرون أنفسهم **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**، ثم قال تعالى: **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَا نَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** قوله أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمْلِي هُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارُعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ [المؤمنون: 55-56] وك قوله فَدَرَنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدِرُ جَهَنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ [القلم: 44] وك قوله: **وَلَا تُعْجِبَنَّ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** التوبة: 85. [الشيخ: وفي هذا يبين النبي ﷺ أن له الحكمة البالغة في إضلal من ضل وكفر من كفر وابتعادهم عن الإيمان، وأنه هو الحكيم] فمن أراد الله له الهدایة وفقه لها ودها ويسر الله له أسبابها، ومن أراد له الشقاوة والضلال فإنه هو الحكيم العليم [في ذلك ولهاذا قال: **وَلَا يَحْرُنَّكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُرُوا اللَّهَ شَيْئًا** [آل عمران: 176] يعني ينبغي إلا تحزن عليهم لأن الله هو الحكيم العليم I، وكان عليه الصلاة والسلام يحرص على هدايتهم، ويريد أن يهديهم الله، وأن يدخلون في دين الله لمحبته الخير لهم عليه الصلاة والسلام، ومحبته خروجهم من دائرة الكفر وسلامتهم من معرة الكفر، ولكن الله حكيم عالم I؛ فنهىنبيه أن يحزن من أجل ضلالهم، وأن يطمئن وينشرح صدره لحكمة الرب [ولوها في الآية الأخرى يقول جل وعلا: **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَمَّا يَمْكُرُونَ** [النحل: 127] وهو الحكيم العليم جل وعلا إنما على الداعي وعلى الرسول البلاغ، الرسول عليه البلاغ والدعاة عليهم البلاغ والبيان والدعوة والإرشاد، والله سبحانه هو ولـي التوفيق لعباده، وهو الحكيم العليم جل وعلا، فلا يحزن المؤمن ولا يحزن الرسول لهذا الأمر،

فإن رب حكيم عليم جل وعلا، وقال سبحانه قد نعلم إنَّه لِيَحْرُنَّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّمَا لَا يُكَذِّبُونَكَ ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحُدُونَ [الأنعام: 33] والمقصود أن المؤمن وعلى رأسهم الرسل إنما عليهم البلاغ والبيان والدعوة إلى الله ﷺ، ولا يضرهم كفر من كفر وضلال من ضل، ولا ينبغي أن يحزن لذلك؛ فإن الله هو الحكيم العليم، وهو البصير بأمر عباده، وله الحكمة البالغة في إضلال من ضل وفي هداية من هدى جل وعلا، والله المستعان.

ثم يبين أيضاً أن الذين يسارعون في الكفر لن يضرروا الله شيئاً إذا استبدلوا الكفر بالإيمان، وعصوا الله وخالفوا أمر الله، فهم لن يضرروا الله شيئاً، إنما يضررون أنفسهم، ويهلكون أنفسهم، ويبوؤون بغضب من الله وسوء المصير، نسأل الله العافية. ثم قال تعالى: ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي لا بد أن يعذ سبباً من المحن، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجدهم وثباتهم وطاعتكم الله ولرسوله ﷺ، وهتك به ستار المنافقين. فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم الله ولرسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ. قال مجاهد: ميز بينهم يوم أحد، وقال قتادة: ميز بينهم بالجهاد والهجرة. الشيخ: وهذا من حكمته العظيمة، فإن الناس لو كانوا دائمًا منصورين والنصرة لهم والرياسة لهم دائمًا ولا يصيبهم مرض، ولا يصيبهم نصب ولا نكبة، ولا يتسلط عليهم الأعداء؛ لدخلوا في دين الله جمیعاً، وقد سبق في علم الله أن الناس فيهم المسلم وفيهم الكافر وفيهم الطيب وفيهم الخبيث، فابتلاهم بما يميز هذا من هذا، يميز الصابرين المستقيمين المتهدين الراغبين فيما عند الله من المنافقين والكافرين والظالمين ومن قل فضله وعظم جزعه بالبلايا والمحن؛ إما بالإمراض، وإما بذهاب المال، وإما بتسلیط الأعداء حتى يحصل هزيمة كما حصل يوم أحد، فابتلاهم الله بالهزيمة التي بين أسبابها، وأن أسبابها عصيان من عصى وفشل من فشل، فابتلاهم بالهزيمة حتى يتميز الصابرون من أهل الإيمان، ويتميز المنافقون من أهل الردة والفساد وانحراف القلوب، كما قال في الآية الأخرى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَلَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ [محمد: 31] وقال سبحانه: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرَ الصَّابِرِينَ [البقرة: 155] فالابتلاء والامتحان من الله ﷺ للعباد فيه تميز لهم، وفيه إظهار لفضل الفضلاء، وشكر الشاكرين، وصبر الصابرين، وفضيحة لأهل النفاق والفساد والكفر والضلالة، فالمؤمن يتحمل ويصبر ويذوم كمال إيمانه وصبره على الحق، والكافر المنافق يذوم فساده وانحرافه وما في قلبه من الشر والفساد.

وقال السدي: قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر، فأنزل الله تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ أي حتى يخرج المؤمن من الكافر، روى ذلك كله ابن جرير.

ثم قال تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ أَيُّ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لو لا ما يعتقد من الأسباب الكاذبة عن ذلك. ثم قال تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ كَوْلَهُ تَعَالَى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** ○ إلا من ارتكب من **رَسُولِهِ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** [الجن: 26-27] ثم قال تعالى: **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَيُّ أَطِيعُوا اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَاتَّبِعُوهُ فِيمَا شَرَعَ لَكُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَنْتَقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**. الشيخ: لأن العمل من الإيمان، قوله: **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يَدْخُلُ فِيهِ التَّصْدِيقِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْقَوْلِ الطَّيِّبِ**, ويدخل فيه العمل الصالح كله داخل في الإيمان، ولهذا قال: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** [الأنفال: 20], فالم公网: آمنوا بالله ورسله يعني إيماناً يتضمن طاعة الأوامر وترك النواهي والقول الحق والإنكaf عمما لا يجوز مع ثبات القلب وصبره وخوفه ورجائه ومحبته ونحو ذلك، فالإيمان يشمل هذا كلها، يعني أن الله بيتنلي عباده، فعلى المؤمن عند البلاء أن يصبر، وأن يؤمن، وذلك بطاعة الله ورسوله والوقوف عند حدود الله ورسوله، والكف عمما حرم الله ورسوله، هذا هو النتيجة الصحيحة المستقيمة الإيمانية لأهل الإيمان، لا يزيد هم البلاء إلا ثباتاً بالحق ونصرًا للحق وجهاداً في سبيل الحق ورداً على الباطل، لعلهم بأن الله بيتنلي عباده بالسراء والضراء ثم تكون العاقبة لأهل الإيمان كما قال سبحانه: **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** [العنكبوت: 1-2] لا يمتحنون فلا بد من الامتحان كما امتحن من قبلهم. وقوله تعالى: **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرُّ لَهُمْ** أي لا يحسن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضره عليه في دينه، وربما كان في دنياه. ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيمة، فقال: **سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**.

قال البخاري: حدثنا عبدالله بن منير، الشيخ: البخاري له شيخ اسمه عبدالله بن منير، وهناك واحد متاخر له حواسبي على البخاري قال عبدالله بن منير بالتشديد فالمتأخر صاحب الحاشية...، وأما شيخه فهو عبدالله بن منير بالتفصيف.....

حدثنا عبدالله بن منير، سمع أبا النصر، حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبدالله بن دينار عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة، يأخذ بهزمته - يعني بشدقته - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية: **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرُّ لَهُمْ إِلَى آخر الآية**، تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه. الشيخ: وهذا الشجاع الأقرع، الحية العظيمة، الثعبان العظيم الذي قد ذهب شعر رأسه من شدة سمه وخبث سمه نسأل الله العافية.

وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل الله له

ماله يوم القيمة شجاعاً أقرع له زبيتان، ثم يلزمـهـ يطـوـقـهـ يـقـوـلـ: أنا كـنـزـكـ أنا كـنـزـكـ وـهـكـذـاـ روـاهـ النـسـائـيـ عنـ الفـضـلـ بنـ سـهـلـ عنـ أـبـيـ النـصـرـ هـاشـمـ بنـ القـاسـمـ عنـ عـبـدـالـعـزـيزـ بنـ عـبـدـالـلـهـ بنـ أـبـيـ سـلـمـةـ بـهـ. ثـمـ قـالـ النـسـائـيـ: وـرـوـاـيـةـ عـبـدـالـعـزـيزـ عنـ عـبـدـالـلـهـ بنـ دـيـنـارـ عنـ اـبـنـ عـمـ أـثـبـتـ منـ روـاـيـةـ عـبـدـالـرـحـمـنـ عنـ أـبـيـهـ عـبـدـالـلـهـ بنـ دـيـنـارـ، عنـ أـبـيـ صـالـحـ عنـ أـبـيـ هـرـيرـةـ.

قلـتـ: وـلـاـ منـافـاةـ بـيـنـ الرـوـايـتـيـنـ، فـقـدـ يـكـونـ عـنـ عـبـدـالـلـهـ بنـ دـيـنـارـ مـنـ الـوـجـهـيـنـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ. الشـيـخـ: وـهـذـاـ يـبـيـنـ سـوـءـ عـاقـبـةـ الـبـخـلـ، وـأـنـ عـاقـبـةـ الـبـخـلـ وـخـيـمـةـ، وـأـنـ الـبـخـيلـ فـيـ الـمـالـ وـلـمـ يـؤـدـ الـحـقـوقـ التـيـ عـلـيـهـ مـنـ الزـكـاـةـ وـغـيـرـهـ نـدـمـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ غـاـيـةـ النـدـامـةـ وـصـارـ مـالـهـ عـذـابـاـ عـلـيـهـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ وـصـارـ يـتـمـثـلـ لـهـ هـذـاـ مـالـ وـيـجـعـلـ لـهـ هـذـاـ مـالـ شـجـاعـاـ أـقـرـعـ يـعـنـيـ ثـعـبـانـاـ عـظـيـمـاـ يـطـوـقـهـ وـيـلـزـمـ شـدـقـيـهـ وـيـعـذـبـ بـهـ وـيـقـوـلـ: أـنـاـ مـالـكـ أـنـاـ كـنـزـكـ، غـيـرـ عـذـابـ النـارـ نـسـأـلـ اللـهـ الـعـافـيـةـ. يـعـنـيـ يـعـذـبـ بـعـذـابـيـنـ عـذـابـ بـهـذـاـ الثـعـبـانـ الـذـيـ يـطـوـقـ بـهـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ فـيـ الـمـحـشـرـ، ثـمـ عـذـابـ النـارـ، نـعـوذـ بـالـلـهـ وـنـسـأـلـ اللـهـ الـعـافـيـةـ.

وـقـدـ سـاقـهـ الـحـافـظـ أـبـوـ بـكـرـ بـنـ مـرـدـوـيـهـ مـنـ غـيـرـ وـجـهـ عـنـ أـبـيـ صـالـحـ، عـنـ أـبـيـ هـرـيرـةـ. وـمـنـ حـدـيـثـ

مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ حـمـيدـ

عـنـ زـيـادـ الـخـطـمـيـ

عـنـ أـبـيـ هـرـيرـةـ بـهـ.

حـدـيـثـ آـخـرـ: قـالـ إـلـإـمـامـ أـحـمـدـ: حـدـثـنـاـ سـفـيـانـ عـنـ جـامـعـ، عـنـ أـبـيـ وـائـلـ، عـنـ عـبـدـالـلـهـ، عـنـ النـبـيـ ﷺ
قـالـ مـاـ مـنـ عـبـدـ لـاـ يـؤـدـيـ زـكـاـةـ مـالـهـ إـلـاـ جـعـلـ لـهـ شـجـاعـ أـقـرـعـ يـتـبـعـهـ، يـفـرـ مـنـهـ وـهـوـ يـتـبـعـهـ، فـيـقـوـلـ: أـنـاـ
كـنـزـكـ ثـمـ قـرـأـ عـبـدـالـلـهـ مـصـدـاقـهـ مـنـ كـتـابـ اللـهـ سـيـطـرـوـقـوـنـ مـاـ بـخـلـوـاـ بـهـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ، وـهـذـاـ روـاهـ
الـترـمـذـيـ وـالـنـسـائـيـ وـابـنـ مـاجـهـ مـنـ حـدـيـثـ سـفـيـانـ بـنـ عـيـنـةـ عـنـ جـامـعـ بـنـ أـبـيـ رـاشـدـ، زـادـ الـتـرـمـذـيـ:
وـعـبـدـالـمـلـكـ بـنـ أـعـيـنـ، كـلـاهـمـاـ عـنـ أـبـيـ وـائـلـ شـقـيقـ اـبـنـ سـلـمـةـ عـنـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ مـسـعـودـ بـهـ، وـقـالـ

الـتـرـمـذـيـ: حـسـنـ صـحـيـحـ. وـقـدـ روـاهـ الـحـاـكـمـ فـيـ مـسـتـدـرـكـهـ مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ عـيـاشـ وـسـفـيـانـ

الـثـورـيـ، كـلـاهـمـاـ عـنـ أـبـيـ إـسـحـاقـ السـبـيـعـيـ، عـنـ أـبـيـ وـائـلـ، عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ بـهـ، وـرـوـاهـ اـبـنـ

جـرـيرـ مـنـ غـيـرـ وـجـهـ عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ مـوـقـوـفـاـ. الشـيـخـ: وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ عـظـمـ عـقوـبـةـ مـنـ بـخـلـ بـالـحـقـ

الـذـيـ عـلـيـهـ وـلـمـ يـؤـدـ زـكـاـةـ مـالـهـ وـلـمـ يـؤـدـ الـحـقـوقـ التـيـ عـلـيـهـ فـيـ الـمـالـ، فـإـنـ هـذـاـ مـالـ يـعـذـبـ بـهـ صـاحـبـهـ

يـوـمـ الـقـيـمـةـ كـمـاـ قـالـ جـلـ وـعـلاـ: وـالـذـيـنـ يـكـنـزـوـنـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ وـلـاـ يـنـفـقـوـنـهـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ فـبـشـرـهـمـ

يـعـذـابـ أـلـيـمـ ○ يـوـمـ يـحـمـىـ عـلـيـهـاـ فـيـ نـارـ جـهـنـمـ فـتـكـوـيـ بـهـاـ جـبـاهـهـمـ وـجـنـبـوـهـمـ وـظـهـورـهـمـ هـذـاـ مـاـ

كـنـزـتـمـ لـأـنـفـسـكـمـ فـدـوـقـواـ مـاـ كـنـثـمـ تـكـنـزـوـنـ [التـوـبـةـ: 34، 35] فـكـلـ مـاـ لـاـ تـؤـدـيـ حـقـوقـهـ مـنـ زـكـاـةـ وـغـيـرـهـ

يـعـذـبـ بـهـ صـاحـبـهـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ نـعـوذـ بـالـلـهـ، وـهـذـاـ الـعـذـابـ يـتـكـرـرـ وـيـسـتـمـرـ فـيـ يـوـمـ كـانـ مـقـدـارـهـ خـمـسـينـ

أـلـفـ سـنـةـ، ثـمـ يـرـىـ سـبـيلـهـ بـعـدـ ذـلـكـ إـمـاـ إـلـىـ الـجـنـةـ وـإـمـاـ إـلـىـ الـنـارـ، وـفـيـ الـأـحـادـيـثـ الـأـخـرـىـ الدـلـالـةـ عـلـىـ

نـوـعـ آـخـرـ مـنـ الـعـذـابـ وـأـنـهـ كـمـاـ أـنـهـ يـعـذـبـوـنـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ فـيـ الـنـارـ وـيـحـمـىـ عـلـيـهـمـ وـيـكـوـنـ بـهـذـاـ

الـمـالـ، هـوـ أـيـضـاـ يـمـثـلـ لـهـمـ شـجـاعـ أـقـرـعـ يـصـبـحـ هـذـاـ مـالـ لـهـمـ شـجـاعـاـ أـقـرـعـ لـهـ زـبـيـتـانـ يـأـخـذـ بـشـدـقـيـ

الـرـجـلـ يـعـنـيـ صـاحـبـ الـمـالـ وـيـقـوـلـ لـهـ: أـنـاـ مـالـكـ أـنـاـ كـنـزـكـ، وـهـذـاـ شـجـاعـ هـوـ الـحـيـةـ الـعـظـيمـةـ التـيـ قـدـ

ذـهـبـ شـعـرـ رـأـسـهـاـ مـنـ شـدـةـ سـمـهاـ وـكـبـرـ وـطـولـ عمرـهـاـ، نـسـأـلـ اللـهـ السـلـامـةـ.

المقصود أنه نوع آخر من العذاب لمن بخل بما أعطاه الله ولهذا قال :**وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**
بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطْوَقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران:180] يجعل طوقاً في العنق مع التعذيب به والكي به مع تمثيله بهذا الشجاع الأقرع نسأل الله العافية.

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : من ترك بعده كنزاً مثل له شجاعاً أقرع يوم القيمة له زبيتان يتبعه، ويقول: من أنت؟ ويلك، فيقول: أنا كنزك الذي خلفت بعدي، فلا يزال يتبعه حتى ياقمه يده فيقضمهها، ثم يتبع سائر جسده إسناده جيد قوي، ولم يخر جوه. وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله البجلي.

ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، قال : لا يأتي الرجل مولاً من فضل ماله عنده فيمنعه إيه إلا دعي له يوم القيمة شجاع يتلمظ فضله الذي منع لفظ ابن جرير، وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى، حدثنا عبدالاً على، حدثنا داود عن أبي قزعة، عن رجل، عن النبي ﷺ، قال : ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده، فيدخل به عليه، إلا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوفه ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمها حجير بن بيان، عن أبي مالك العبدى موقفاً، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلاً.

الشيخ: وهذا يبين لنا عظم خطر قطيعة الرحمة وأن الإنسان إذا جاءه رحمة قريبه يسأله من فضله لفقره و حاجته ثم اعتذر إليه، كان من أسباب كونه يعذب في النار يوم القيمة. قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: لا يدخل الجنة قاطع رحم قطيعة الرحمة من أقبح السيئات، ومن الكبائر، والله أمر بالإحسان إلى القرابات وصلة القرابة وحذر من قطيعتها يقول :**فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَُّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ** ○ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** [محمد:22، 23] فيجب على القريب الموسر أن يحسن إلى قريبه المعسر وأن يواسيه من ماله ويسن إليه بزكاة أو غيرها وألا يدعه في حاجة وهو معسر، هذه صلة الرحم التي أوجبها الله، أن تواسيه بماله وتحسن إليه مما أعطاك الله بـ.....؟

الشيخ: الحقوق تشمل الزكاة وتشمل الحقوق الأخرى، مثل حق الزكاة ومثل حق الضيف، ومثل حق القريب، حق الزوجة والأولاد وحق المضطر، حقوق الناس غير الزكاة.
س:.....؟

الشيخ: نعم ما دام عنده قدرة وسعة بحسب ما أعطاه الله لأن الواجب يتفاوت كلما كان أقرب صار أشد.

س:.....؟

الشيخ: هذا قاله النبي ﷺ: ثم الأقرب فالأقرب لكن هذا في حق الإعسار، ما عنده إلا ما يكفي الأقرب ببدأ به قبل الأبعد، لكن إذا كان عنده يسر يعم الأقرب وغير الأقرب الذي عنده سعة من المال.

س:.....؟

الشيخ: ولو إذا قصر ذاك لا يقصرا هو.

س:.....؟

الشيخ: ... إذا كان مجهولاً أو معروفاً بالحاجة أو إذا كان سائل يتسبّع ويعطونه زيادة وعنه مال فماله حق ... وفي أموالهم حق لسائل والمُحرّم [الذاريات: 19]، والسائلون أقسام ثلاثة: قسم يعرف أنه غني فهذا يزجر ويؤدب، وقسم مجهول الحال فيعطي ما تيسر، وقسم معروف بأنه فقير فيعطي حقه.

.....

وقال العوفي عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبيّنوها، رواه ابن جرير، وال الصحيح الأول وإن دخل هذا في معناه. الشيخ: وهذا أشد إذا كان البخل بالمال يعاقب عليه صاحبه، فالبخل بالعلم وعدم تعليم الناس للعلم وعدم توجيههم إلى الخير مع حاجتهم أشد من البخل من المال وأعظم، لأن البخل عن العلم بخل عنه بأسباب الهدایة بأسباب السعادة فيكون أشد الإثم ويكون مشابهاً لليهود الذين بخلوا بالعلم ولم يبيّنوه للناس. وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول، والله أعلم، قوله تعالى: **وَرَبِّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** أي فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله . فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ** أي بنياتكم وضمائركم.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَنَّلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرَيقِ () **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ** () **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ لِرَسُولِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْمُو هُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** () **فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: **مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهَ فَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرًا** [البقرة: 245] قالت اليهود: يا محمد، افتقر ربكم فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ الْآيَةِ**، رواه ابن مردوه وابن أبي حاتم.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس ، قال: دخل أبو بكر الصديق ـ بيت المدراس فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له أشيع، فقال له أبو بكر: ويحك يا

ف衲اص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل. فقال ف衲اص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما ننتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر ۚ فضرب وجه ف衲اص ضربا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده لو لا الذي بيننا وبينكم من العهد لضررت عنك يا عدو الله، فاكذبوا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب ف衲اص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبكم، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قوله عظيما، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك، غضبت الله مما قال، فضررت وجهه، فجحد ف衲اص ذلك، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال ف衲اص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر لقد سمع الله قوله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء الآية، رواه ابن أبي حاتم.

الشيخ..... :

وهذا من جهل اليهود وظلمهم وشدة كفرهم لأنهم يعلمون أن الله هو الغني وأنهم هم الفقراء ويعلمون أنه سبحانه خالقهم ورازقهم [ويعلمون أنه حين قال: من ذا الذي يفرض الله قرضًا حسناً [البقرة: 245] ليس مراده أنه يحتاج إلى عباده، إنما المراد من الذي يفرض الله بإعطاء الفقراء والإحسان إليهم فيأخذ ثواب ذلك من عند الله وجراه، الخلف في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة، فالفرض في مصلحة المفترض ومنفعته، والله غني عنه وعن فرضه، لكنه يحث عباده على أن يقرضوه قرضاً حسناً بالإنفاق في سبيله والإحسان إلى عباده الفقراء وإقامة المشاريع الخيرية وهو سبحانه يجازيهم على ذلك بخير الجزاء في الدنيا وفي الآخرة، وهو الذي أعطاهم المال وهو الذي يسر لهم المال ورزقهم بما في أيديهم من أنواع المتع كله منه]، ولكن من طبيعة غالب الناس الظلم والجهل والكذب والعناد فالإنسان من طبيعته أنه ظلوم جهول ظلوم كفار فرح فخور هذه طبيعة هذا العبد المسكين إن الإنسان لظلوم كفار [إبراهيم: 34] إلا من هداه الله إلا من وفقه الله نسأل الله العافية.

وقوله: **سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا تهديد ووعيد، ولهذا قرنه تعالى بقوله: وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ** أي هذا قولهم في الله وهذه معاملتهم لرسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء، ولهذا قال تعالى: **وَنَقُولُ دُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ○ ذلك بما قدمت أيديكم وآن الله ليس بظالم للعبيد أي يقال لهم ذلك تكريعا وتوبixa وتحقيرا وتصغيرا.

وقوله تعالى: **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ لِرَسُولِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ**
يقول تعالى تكذيبا أيضا لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم، أن لا يؤمنوا لرسول

حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقه من أمنته، فتقبلت منه؛ أن تنزل نار من السماء تأكلها، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما. قال الله :**﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِيٍّ بِالْبَيِّنَاتِ أَيْ بِالْحَجَّ وَالْبَرَاهِينِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا لَكُمْ أَيْ وَبِنَارٍ تَأْكِلُ الْقَرَابِينَ الْمُتَقْبَلَةَ، فَلَمْ قَتَلْنَاكُمْ هُمْ أَيْ فَلَمْ قَاتَلْنَاهُمْ بِالْكَذِيبِ وَالْمُخَالَفَةِ وَالْمُعَانَدَةِ وَقَاتَلْنَاهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنْكُمْ تَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَتَنَقَّادُونَ لِلرَّسُلِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُسَلِّيَا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدَ ﷺ فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ أَيْ لَا يَوْهَنُكُمْ تَكْذِيبُ هُؤُلَاءِ لَكُمْ، فَلَكُمْ أَسْوَةٌ بَمْنَ قَبْلِكُمْ مِّنَ الرَّسُلِ الَّذِينَ كَذَبُوا مَعَهُمْ جَاءُوا بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَهِيَ الْحَجَّ وَالْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَةِ، وَالزُّبُرُ وَهِيَ الْكِتَابُ الْمُتَلَقَّا مِنَ السَّمَاءِ كَالصَّحْفُ الْمَنْزَلَةُ عَلَى الْمَرْسُلِينَ، وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ أَيْ الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ الْجَلِيلُ.**

الشيخ: وهذه تعزية من ربنا ﷺ أن يتآثر بكلام هؤلاء وعملهم، وأن يضعف بسبب ذلك، فإن هؤلاء مجرمون مكذبون كما كذب من قبلهم من الأمم، فلا ينبغي للرسول أن يتآثر بذلك بل يستمر في دعوته ويصبر على الأذى والتكذيب حتى يبلغ رسالات الله وحتى يؤدي ما أوجبه الله ليهلك من هلك عن بيته ويحيى من حي عن بيته، وكانت اليهود في المدينة ومع هذا كذبوا ولم يستجيبوا لداعي الله وهم يعلمون أن محمداً رسول الله، قد عرفوا هذا من كتبهم من التوراة ولكن حملهم البغي والحسد على التكذيب، فأمر الله نبئه ﷺ ألا يتآثر بذلك وألا يهمه أمرهم، فقد كذبوا من قبله، كذبوا عيسى وكذبوا رسلًا كثيرين وقد قتلواهم وهذا غيرهم من الأمم من العرب وغير العرب، لا يهمنّ الرسول تكذيبهم وإنكارهم وهكذا الدعاة من بعد الرسول، لا ينبغي أن يتآثروا بتكذيب المكذبين ومعارضة المعارضين وإيذاء المؤذين، فلهم أسوة بالرسل عليهم الصلاة والسلام فليصبروا وليحتسبوا وليستمروا في الدعوة إلى الله والصبر على الأذى حتى يبلغوا ما عليهم وحتى يؤدوا واجبهم، وبعد ذلك الأمر إلى الله .I







